

اثار علي بن ابي طالب

القسم الديني (*)

﴿ القسم الثاني من الامالى الدينية في النبوات ﴾

(الدرس الثامن عشر — الحاجة الى الوحي والنبوة)

تكلّمنا في العدد الماضي عن الوحي من حيث إضافته الى الله تعالى وكونه كلامه والاستدلال على ذلك بالعقل والنقل على الوجه الذي كان عليه الصحابة وأئمة السلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم ولذلك جعلناه في قسم (الالهيات) وكان مقتضى الترتيب المعقول ان يكون هذا المبحث برمته في قسم النبوات لان النبوة انما تكون بوحي الله وكلامه . وشكلم الآن عن الوحي من حيث حاجة البشر اليه وحال من جاؤا به

المسئلة (٥٣) الارواح الخالدة — الاعتقاد بأن للبشر ارواحاً تبقى بعد الموت ولها حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا هو الأساس الذي قام عليه بناء الدين المطلق فلولا لم يكن للدين معنى ولا فائدة بل لم يوجد أصلاً . وكل فائدة أفادها الدين للبشر من وثنيين وموحدين فصدرها هذا الاعتقاد . ما عاّم قدماء المصريين صناعة البناء وما يتبعها ويلزمها من الهندسة وجر الاثقال حتى بنوا مثل الاهرام وغير ذلك من العلوم والصناعات الا الاعتقاد بخلود النفس . وكذلك قل في الكلدانيين والصينيين والهنود واليونانيين والرومانيين والفرس والاسرائيليين والعرب

(*) ضاق هذا العدد عن نشر تفسير القرآن لفضيلة مفتي الديار المصرية

هذا الاعتماد فطري في البشر ولذلك وجد في كل جيل من اجيالهم في كل طور من اطوارهم فليس هو من استنباط الافكار، ولا من التخيلات والتصورات فتتحمك فيه الانظار، نعم لما ولع الناس بالعلوم النظرية ابتلوا بالتشكيك في كل شيء حتى في الوجدانيات والمحسوسات ومنهم من انكر الروح ولكن هذا الانكار لم ينتفت اليه الا نفر قليل من المستعبدين لنظرياتهم لأنهم يقربون من السفسطائية الذين انكروا كل شيء حتى انفسهم وحتى انكارهم. وقد وجد - والحمد لله - من النظائر من رد على منكري الروح بنظريات موجبة اقوى من نظرياتهم السالبة ولا حاجة بنا الى الحوض في ذلك لاننا نخطب في دروسنا قوماً لم يبتلوا بانكار انفسهم وارواحهم

هذه مقدمة تمهيدية لبيان الحاجة الى الوحي وارسال الرسل ولا بد منها في اثبات كون الوحي هو الذي يبين طريق السعادة في الحياة الآخرة وهذا هو جزء الفرض وتمامه ان نين اننا محتاجون الى الوحي في سعادة الدنيا وسعادة الآخرة جميعاً لاننا نعتقد ان في اتباع الدين سعادة الدارين كما بيناه في المسئلة الاولى من الدرس الاول

م (٥٤) الحاجة الى الوحي في الدنيا - لا نزاع في أن الانسان خلق ليعيش مجتمعاً او كما يقول الحكماء « الانسان مدني بالطبع » ولم يمت من الالهام الفطري ما يفنيه عن التعلم والتربية بل خلقه الله محتاجاً لكل شيء وعاجزاً عن كل شيء بنفسه ولذلك اعطاه خالقه استعداداً غير محدود وجعل رغبته وامانيه غير محدودة. ابتلاه بشهوات تمسوقه الى تحصيل رغبته واعطاه قوى يستعين بها على ذلك ويدافع بها من ينازعه او يصدده عنه. ولا شك

ان هذه الرغائب والشهوات تكون مثاراً للتنازع بين ذويها اذ ليس في فطرة الانسان ولا في طبيعة الاكوان ما يوقف كل انسان عند حد من حظوظه لا يتعداه . نعم ان نوع الانسان يتربى بالمالم ولكن هذه التربية ما كانت كافية له في جيل من اجياله للوقوف عند حد يبين لكل فرد من افراده حقوقه وواجباته على وجه ملازم له بالوقوف عنده الا بالدين وكل دين تصلح به شؤون البشر فهو حق منبعه الوحي الالهي وان كنا نجعل مبدأ كل دين عرف في التاريخ انه احدث اصلاحاً وكيفية طرء التعريف والتغيير عليه حتى صار اصلاحه مشوباً بافساد

يلغ البشر بالاستفادة من التربية الكونية بالتدريج الطويل مبلغاً عظيماً ثم يكونون على ما أوتوه من علم وحكمة ابدع عن التهذيب والاصلاح وهم في نهايتهم من اهل الدين في بدايتهم . واعظم عبرة امامنا الامم الاوروبية فان العلوم الكونية قد ارتقت عندهم ارتقاء لم يعرف له مثل في تاريخ الانسان وقد صلح بها وبما بقي من آثار الدين عندهم حالهم الدنيوى ولكنهم لا يماربون في هذا الصلاح ما كان عليه المسلمون في العصر الاول عند ما كان صلاحهم بالدين وحده غير مدعوم بالعلوم الكونية والتربية العالمية . هل بلغ ملك اوربي في العدل والرحمة وسائر الفضائل مبلغ احد الخلفاء الراشدين الذين كانوا قبل الاسلام وحوشاً ضارية يفترس بعضها بعضاً فريام الدين على الكبرية تعجز عنها العلوم الكونية بدون تعليم الوحي الصحيح وان مخصها الدهر بضع قرون . انظر الى فظائع ابناء القرن العشرين في الصين وراجع تاريخ اهل القرن الاول من المسلمين . انظر كيف ساوى عمر بن الخطاب بين صهر الرسول عليه الصلاة والسلام وابن عمه وبين

رجل من آحاد اليهود وكيف ان دول اورويا لا ترضى بمساواة احقر
صاوك من بلادها لاعظم امير شرقى فى الحقوق . انظر كيف افتتحت
تلك الشراذم من المسلمين بلاد الروم والفرس والفراعنة فكان اهلها راضين
بحكمهم مفضلين لهم على قومهم وابناء ملتهم حتى ترك معظمهم لغته ودينه
طائفاً مختاراً من غير دعاة تناديهم ولا مدارس تربيههم وكيف ان الاوربيين
يدخلون البلاد فلا يرون من اهلها الا كراهة ومقتاً يتضاعف ويزداد
بازدياد ايام حكمهم مع انه ما تسنى لهم دخول ارض الا بعد ما جار اهلها
عن صراط الدين واستهانوا بالعدل . انظر كيف كان المسلمون فى بداوتهم
يدخلون البلاد فيطهرونها من الارجاس الظاهرة والباطنة وكيف ان
الاوربيين ما دخلوا قرية الا وافسدوا اخلاق اهلها وآدابهم بالخر والفحش
واليسر . ولا سعة معنا فى هذا الدرس لتمام المقابلة بين مدينة المسلمين فى
القرن الاول ومدينة اورويا فى القرن العشرين او القرن الخامس من قرون
ترقيها فى الحضارة (سنبسط الكلام عن المدينتين فى غير هذه الدروس
من اجزاء المنار الآتية ان شاء الله تعالى) نعم ان المسلمين انحرفوا عن
صراط سلفهم فادبهم الله تعالى بسلب كثير مما كان اعطاهم ولذلك ذهب
بهاء دينهم قبل ان تكمل مدينتهم المادية ورجو ان يكون ما حل بهم من
العقوبة كافياً لانايتهم ورجوعهم الى رشدهم وعند ذلك اذا قالوا يسمع لهم
واذا افتخروا يشهد العالم بصدقهم فى فخارهم فهم الآن حجة من لا دين له
على كل دين . لان دينهم اذا لم يكن طريقاً لسعادة الدنيا فلا يمكن ان
يكون سواه ، وان قررت القوة خلاف ما قررناه ،

(لكلام تمة)